مراكب
لأشرعة السؤال

تصميم الغلاف

فاتـح كلثوم

مراكب لأشرعة السؤال

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦م

مراكب لأشرعة السؤال / فاتح كلثوم .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦م .- ١٧٦ ص؛ ٢٠ سم. (من الشعر العربي؛ ٢٤٥).

١-٨١١.٩ ٢- العنوان ٣- كلثوم ٤- السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر العربي

«٢٤٥»

I

لأنّ ..

لأنّ الحبّ يحتاج إلى شجاعة كالموت

قابلت الرّصاص أعزلَ

إلّا

من أمل اللقاء..

لأنّ الحبّ يحتاج إلى ثقافة كقصيدةٍ

التقيتكِ في عمق المفردات،

وكنتِ

الحرف الأول لأبجدية السلام..

إليكِ نصيرة ..

* * *

II

هواجس كانون

هـاجـس

- ١ -

منذُ أنْ وُلِدَ الرَّحيل

وأنا

أَحفِر اسمي فوق سروج الليل،

لا طمعاً بملكٍ،

أو

بصوتٍ يُنبئُ عن رسالة..

فقد

رأيت

كيف تُدفنُ الممالك في عروشها،

وكيف

يَنتحب

الكرى في جفون من أُخِذوا بعزائهم،

ورأيت

كيف يستردُّ الزّمن عذريته.. ولا مغيث!!..

آهٍ..؟؟!!

آهٍ

أنا كانون

كيف

لا أنام رغم حنيني إلى وسادة!!!..

* * *

هـاجـس

- ٢ -

يحدث أن أُزنّرَ بذراعي امرأة

رعدٌ..

برقٌ..

وحطبٌ يبحث عنْ جمره!!..

.. ؟!

ويحدث أن أُعتَقُ -الآن - من حضنكِ

ثلجٌ..

ثلج..

وصمتٌ يُشعِّبُ الدروب إلى الله..!!

* * *

هـاجـس

- ٣ -

أنا كانون..!؟

آهٍ أنا كانون..

كم أتمنى أن أَرتِق امرأةً برحيق غيمي

-امرأةً لا مجازاً -

وأبلِّل جسد الليل بقليلٍ من الأنوثة..

* * *

هـاجـس

- ٤ -

كلّما

قاضيت الشّمس

أُسرَج بطوافِها كالخمر..

دفاعي كأسي..

ومطرٌ يحجُّ إلى موته

يطأه الغريب.. والقريب ..

آهٍ ..؟!!

أنا كانون

كيفَ لي ألّا أُنادم وحدتي..؟!!

* * *

هاجس

- ٥ -

أتمنى أن أتصفّح هذا الليل فوق سريرٍ دافئ،

ثمَّ

أُضيفكِ امرأةً..

أُعرِّيها..؟!

أُعرّيكِ لهباً.. لهباً

حتى

تَعْتَرِف

-الضّحيةُ - برُعاف رمادها..!!

..؟!

لم أكنْ أهذي،

فأنا الغريب بين من يطلبون الصّفح..

لا تحنُّ لي توبةٌ

ولا

تُدركُني فروض الرّب..

أنا كانون

وحدها المدفأة

تدركُ

كيف أخط موتها عندما أرحل..

* * *

هاجس

- ٦ -

كلّ ما حدث في غيابي دفنته الرّمال..

آهٍ ..أنا كانون..

هل

كلّ ما هو آتٍ ينتظرهُ الفناء؟!!..

* * *

هاجس

- ٧ -

حاضناً:

- حقيبة سفرٍ..

- جعبةً من أقلام الحبر الجاف..

- صورة بهلول يورّق أنثى أمام الشّروق..

- نَهدين لامرأةٍ أنهكتها القصائد..

- تاريخاً يُذبحُ بأمجاده..

- وقطرةَ عرقٍ تدرّ كلّ ما تتمناه المدن..؟!!!

أنا كانون ..

وحدها

الغربة

تدرك أني مجرد طِفلٍ

تعرّتْ

أمامه ابنة الجيران..؟!!

* * *

هاجس

- ٨ -

قلبي الّذي يضمّ السّماء..

قلبي المطعون بالبرق،

والرّقة،

والسؤال..

قلبي الّذي يضمّكِ

يتبدى

لي

سحابةً

تكتب رقصاتِ الموج على شاطئ القلق!!..

* * *

هـاجـس

- ٩ -

مسافرٌ..

السّماء رسولي الغامض،

وعشب

الأرض نبوتي الأخيرة..

أنا كانون

زادي

غيمةٌ..

وحسرة جندي يحنُّ لأحلام فراشةٍ..!!

* * *

هاجس

- ١٠ -

يحلو للقمر
أن
يُجالسَ مساحاتي الخضراء
لأنّها
اشتُقَّتْ من ثوبكِ..
بينما
رائحتكِ تُغرِّرُ بألوهتي
لأعود
إلى حضنكِ
كلّما تساميتُ بجنون الأخضر..

* * *

هاجس

- ١١ -

ليلٌ.. عتمةٌ.. نجومٌ تحوقل بالغياب..
وسجائرٌ..!!
ثمّ سجائر..
ثمّ..؟؟!!
أنا كانون
خمري يحدِّثني بأنّي لا أقترف الحياة
إلّا
لألتصق بقميصك الشفاف..
ثمّ..؟!!
ثمّ أهذي بموتي لينال الآخرون ريق الصبابة..

* * *

هاجس

- ١٢ -

في البدء كان..؟!!

وكنتُ

رَقرقة الزُّرقة.. سماء بغيوم امرأة..

في البدءِ كانَ هو..؟

وكُنتُ هَرماً بين نهدين ودفتر..

وهو..؟

.. القلم المحجوب في رحم العذراء..

وكُنتُ الكلمة،

والمركزَ المغيّب في نقطة الـ«كُن»..

وكان هو..؟

وكُنتُ الكاف .. والآخر .. والبعل المؤنّث في غيب النبوءة..

وهو..؟!!

.. هو حضن النون.. انعتاق الكاف من البداية..

وهو أنت.. تموز المحروس بأوراق الرّعد..

وكُنتُ

البرق المتخفيّ بأبي الهول،

أغسل

وجه السّرّ بريق«الزُّهرة»..

وكان هو..؟

وكُنتُ

رؤوس مثلثات النجوم،

أخطّ فوق الأرض قناطر منازله الخمسة..

وكُنتَ أنت..؟

ولم

أكن سوى هو..

أنا

كانون النّصف الغامض من محيط الدائرة.!!

* * *

هـاجـس

- ١٣ -

إذا

كان الزّمن ضائعاً

وما زال يبحث عن مصدره داخل المكان

- فقط -

لأنّهُ لم يلتقِ بكِ

وحدها

الرّيح تعرف هذا السّرّ..

أَهذا

وزّعت برق شفتيكِ على أيامي الماطرة..؟

* * *

هاجس

- ١٤ -

يلوّح لي شالٌ عتيق..

ذاكَ اليباب!!

تلك الرّابية!!

لا يريدان أن يقولا شيئاً

سوى

أنَّ للعدم طعم الوجود.!!

* * *

هاجس

- ١٥ -

وإذا كان الإله أنوثةً
فأنا
-كانون -
أوّل المتعبّدين،
وآخر
من
تُعاهده السّنابل
بكشف
صدورهن
لاستقبال رجولتي..

* * *

هـاجـس

- ١٦ -

هُلُّ.. وأُدبِرُ كالصدى..

كبكاءِ

رضيعٍ يسأل عن الله، وكيف يقتل العاشق صدره..

أنا كانون

درويش الصّليب.. قدّاس المبعدين عن تكايا الأقاليم..

لا وطن لي..

لا حلماً..

لا دمعةً..

لا انتصاراً يُثني الشّمس عن الرّقص يوم موتي..!!

* * *

هـاجـس

- ١٧ -

مشرّدٌ ؟!!

مَحظيتي بردٌ على كتفي..

لغةٌ تنوء،

كأنّ نطافها أمجاد حربٍ..

والبحر - جدي السّندباد -

امرأةٌ

تبحث عن سِفرها..

عن قميصٍ أَلتصقُ به..

عن..؟!

أنا كانون:

أتدري المدفأة من أيّ صبابة ولدتُ..

وفي أيّ غوايةٍ سأدفن..؟!!

* * *

هـاجـس

- ١٨ -

أنا ..؟!

أنا

لم أقتلع أزهار الزيزفون

هي

من

أُخِذَتْ بغربتها.. لأنّ النّحل رحل..؟!!

* * *

هـاجـس

- ١٩ -

للرّيح حروفها العالقة بالخطايا،

وعذابات

من مرّوا يطلبون الصّفح..

كأنّ

الحرب

قرط غانيةٍ، وما كانوا لبُشراهم سبايا..!!

أنا كانون

كليم

البرق..

تؤنثني شهوة العائدين من موتهم،

وتمقت

فألي أثوابٌ تؤجّر بالمجاز،

فلهم

رقيقٌ يؤخذ من أرحامهم،

ولي

حزن خابيةٍ حين يُرضِعُها الفطام..

* * *

هـاجـس

- ٢٠ -

أنا..؟!

أنا كانون

المدفأة تبدّد وجودي..

وغربتي

تبدّد مواويل المدفأة..!!

* * *

هـاجـس

- ٢١ -

قال آذار:

- أنتَ مغرور يا كانون..

- لمَ لا

ما دامت بدايتي ميلاد..

ونهايتي ميلاد..

* * *

هاجس

- ٢٢ -

قد أكون وهماً..

شاهداً..

ساقياً أعرّي حانتي بضمير الطّغاة حين أحبو..

نادميني

يا دنان

الأرض

كيف يصبح النّفي نبيذاً،

ونفي النفي

أرواح قتلى تنخّس بالعدد..!!

نادميني

يا دنان

الأرض

أَ أنا كرمٌ تعجّل عجافه

أم

وطنٌ ترضعه دالية بين تيه وحطب!!..

* * *

هـاجـس

- ٢٣ -

يرسمون شكل الأرض ..؟!..

-..؟!

لي وطنٌ ضاع ..!!

أُمٌّ تهدد حفيداً بهديل الحاء..!!

ولي محيط الرّاء وأخ يُرضعه الرصاص..!!

وزيتونٌ..!!

ولي

نقطة الباء.. وأغنية الندى..

وحبيبةٌ

أحنّ إليها،

فهي من صلب المحيط.. وأنا أبدأ من هناك..

* * *

هـاجـس

- ٢٤ -

أتذكّر..؟!

آهٍ..

أنا كانون

كيف أضعت عمري

هائماً

أناغي صبوة الليل.. دون دليل؟!!

* * *

هاجس

- ٢٥ -

أمرّ بنوافل الصبايا..

أحدو بنهودهنّ

يقتفي أثري جَمّال يبحث عن قرطه..

أنا كانون

يَبحّ قلبي

ألعن نزواتي..

وأمضي..

* * *

هـاجـس

- ٢٦ -

كيف

للوحدة أن تكون شقية

وهي

تجالسني بكل هذا الالتصاق..!!

* * *

هاجس

- ٢٧ -

هائماً

كمعبدٍ يبحث عن الله

زوادتي:

- حزنٌ بطعم الخمر..

- خمرٌ بطعم الزوارق..

- زورقٌ بطعم المرافئ..

ولا شيء آخر

سوى

سماء تصلب بأرواح الأبرياء..!!

* * *

هاجس

- ٢٨ -

أتركُ

للوردة حول الزّوال..

وقوة الـ«لا» تحت جنحي العدم..!!

أنا كانون

قدرٌ قُدَّ من عبث الفصول..

أم

أنيّ مثل قنديل يأخذه الليل

خطوةً

خطوةً.. ونوره ينام في فناء آخر ؟!!

* * *

هاجس

- ٢٩ -

ليس لدي نيّة الرّحيل..

أنا كانون

قدري سؤال؟!..

والأجوبة زرافات..

زرافات أقدامٍ تتهجى وحدتي..!!

* * *

هاجس

- ٣٠ -

مع كلّ سيجارة..

مع كلّ غيمة..

يسألني البرق:

- أرغبتكَ أن تدخن كلّ هذا اللّيل؟

أمْ

أن مطركَ لا يطيق السهر؟!!.

أنا كانون

كيف لي أن أسأله:

- أأنتَ .. أم كلانا مضغة من لهب؟!!..

* * *

هـاجـس

- ٣١ -

تماماً

مثل نومٍ عميق يأخذني السّهاد

ويسألني

عن ملحٍ تجف به الوسادة!..

وأسأل عنكِ

فتُمحى الطرقات من ذاكرة الرّصيف!..

...!!!

تماماً

مثل نومٍ عميق

أنا كانون

تغيب

المدينة عني دون وجبةٍ لكفافي..

* * *

III

غربة بألوان المحيط

للغربة أصدقاءٌ وأولاد..

أبٌّ ..وأمّ.. وأحفادٌ..

وحدود تطهو خلجانها بألوان المحيط..

* * *

للغربة عائلة،

وأرباب صنائع يحفرون زاد يومهم

فوق

صدور البغايا.. ويحترفون الهواء!!..

* * *

للغربة أعداء

يطلقون النّار على كلّ من ساكن وحشتها..

وهي..؟

وهي

مثل كلّ مدينة

تقدّس أرواح شهدائها!!

شعرائها!!

تجارها!!

ومن

يخون

تُنفي أقدامه إلى هزيع الزيزفون!!..

* * *

للغربة برارٍ.. وقطعان ماعز

وراعٍ

يطلق الرّصاص -سفيره غير العادي - على المراعي..

ويهشّ بنايه أسراب الجداول!!..

* * *

للغربة سماءٌ.. ونجوم..

ومطرٌ..

وتلالٌ..

وصباحاتٌ تشرق من أديم الليل!!..

ولها

نوافذ تزاحم ديوكَ الحواكير العتيقة

كلّما

أبهج الصباح رايات الرّعايا..!!

* * *

للغربة شفتان تضمّان صفير الحور

فوق سهولٍ

كلّما

رَاضعَتْ أوراقها أعادت القرى إلى صدر الفطام!!..

* * *

للغربة لونان

- أصفرٌ

تتوخاه طفولةٌ يُرضِعُها النحاس..

- وأحمرٌ

تتبادله أقدام من عبروا

ولم

تؤنّث دروبهم بريق الصبايا..!!

* * *

للغربة طعمان

- ترياقٌ

ينحدر من سُلالاتِ بنادق

- وخمرٌ

حِيكت كرمته من رماد المواقد..!!

* * *

للغربة وطنٌ..

وجيوشٌ.. ونشيدٌ قومي..

وشارات مرور..

ولها

دروبٌ.. وساحاتٌ.. وزناةٌ.. وسفاراتٌ..

وجاراتٌ لا تضمّدهنّ الحدود..

* * *

IV

خريفٌ لأوراق الاحتمال

ورقــة

- ١ -

على شجرةٍ ما

يورق الشوق عصيّ الدّمع..

كتكات ساعة الانتظار..

على شجرةٍ ما قريبةٍ من الاحتمال،

يُفتتن

الغريب

بمفارق وجهكِ.. شَعركِ.. صمتكِ..

رحيلكِ

برغبة غجرية ترتدي ثياب النّوم..

على شجرةٍ ما

ثمّة ثمار تحملق في الدّروب،

تفرد

حناءها على قارعة الطريق..

وتنتظركِ..؟!

* * *

ورقــة

- ٢ -

السّاعة الخامسة والنّصف..

السّاعة

تدور حول محورها بكامل أناقتها..

السّاعة

لا تقرأ الوقت المخصص للانتظار..

السّاعة

الخامسة ونصف خيانة للغياب..

* * *

ورقــة

- ٣ -

سماءٌ تقطف زيتون الرّغبة..

الوقت

معلّقٌ

على خدّ رمانة تتجول في باحة الدّار..

نحلةٌ

تنتحل نبوءة اللانهاية..

القهوة

مغرمة بالسؤال عن ثرثرة النّوافذ المغلقة،

إلّا

أنّ

الفنجان يخشى رحيل أصابعكِ عن خصره..

كلّ

شيء

يبدو داخل أسوار المعتاد

لو

أنّ

الأشواق تخلّت عن الانتماء إلى عبّاد الشّمس..

* * *

ورقــة

- ٤ -

الشّمعة

وذاك

الظلّ الموشوم على الجدار المقابل يسهر معي..

الشّمعة

التي لا تقبل الانقسام.. الاعتذار.. الأرقام

تحتار..؟!

تحتار

كيف

ينفرط شَعركِ بين أصابعي غيمةً.. غيمة..

الشّمعة

الوجه الآخر للغياب

تغار من كل ما يدور في غرفتي

إلّا

أنّها لا ترغب أن تنام..!!!

* * *

ورقـــة

- ٥ -

الرّكن الدّاخلي لقاعة المسافرين

يخيطني بالأشواق

ولا يملك تبريراً لكرسيٍ فارغ..!!

الكرسي الآخر

توهم

امرأة

ولا يملك إلّا نفاضة سجائر،

وساعة حائطٍ عتيقة،

وطاولة..؟!!

وطاولة أيضاً..

مقابلة لنافذةٍ لا تشبهني..

لا يبدو

أنّ لطوابع البريد رأيٌ في ذلك..!!

* * *

ورقــة

- ٦ -

لا وقت إلّا وقتكِ

تقول السّاعة

ثمّ

تنحني الدّقائق وهي تدور حول محور انتظاركِ..

* * *

ورقــة

- ٧ -

السّماء تتنفس من خصركِ

وأنا

أحدو خلف تلال اللانهاية،

وذاك

السواد الكثيف، داخل الفنجان،

ما هو إلّا بهجة المطر

حين

يغزل شعركِ على كتف الـ«كن»..

قالت البصارة أيضاً:

هكذا تبدو تكات صباحكَ يا بني

ولم يبقَ

سوى رشفة بنٍ واحدة، لتبحر ريحكَ دون شراع..

* * *

ورقــة

- ٨ -

لأنّ

المساء خان دروبه

واكتفى

بأن يشرب الشّاي داخل ساعته..

لأنّ

الليل ابتذل سماءه على تخوم محبرة..

لأنّ

الحلم شجرة فقدت أوراقها في لحظة طيش..

لأنّ

قهوة آخر الليل

تخلت عن تفاصيلها الصفراء..

قرّرتُ

أن أستيقظ مع المفردات

لأقول لكل ما لم يشمله السؤال:

صباح حبيبتي..

* * *

ورقــة

- ٩ -

بالأمس

كان لكلّ شوقٍ حلمٌ يداعب السؤال..

بالأمس

كما

اليوم

صارت الشّوارع شاخصات مرور بلون الأساور..

* * *

ورقــة

- ١٠ -

أشتهي أن أخربش على تكات السّاعة..

يقول الغياب:

هي أمنية الماء بين ضفتين من عطش..!!

* * *

ورقـــة

- ١١ -

خطوةٌ.. خطوة

تشعّ الثواني..

خطوةٌ.. خطوة

وجهكِ أسواراً لأفقٍ مضموم؟؟

خطوةٌ.. خطوة

تأخذنا مفاتيح البيوت إلى الارتباك..

خطوةٌ.. خطوة

نعمّد الوقت بأقدامنا

ولا

زاد

لدينا

سوى ممحاة وحذاء واحد يقلّنا إلى الماء..

* * *

ورقــة

- ١٢ -

في غرفتكِ..

تبتعد النّافذة عن مسارها المعتاد..

في غرفتكِ

أنا..

ومرآةٌ تهمس للزمن أن يسدل السّتائر..

في غرفتكِ

يستعير السّنونو طوق ساعته..

أقلامه..

ممحاته..

حقيبته المدرسيّة، وكلّ ما يلزمه من ماء..

في غرفتكِ

يفرّخ الرّحيل زغب الحنين أسراباً.. أسراباً،

ولا

يبقى إلّا ظلّ يحتضن الجدران..

في غرفتكِ..

يحرق الضّوء ريشه

كأنّكِ الرّيح..

وكأنّي شراعٌ يسرج غيمة..

* * *

ورقــة

- ١٣ -

للعدم أجنحة

ولكِ

طعم الدقائق على سفح الضّباب الكثيف..

* * *

ورقــة

- ١٤ -

من أين لانتظاركِ كلّ هذا البياض:

يسألني الياسمين..!!

أشعل سيجارة..

سيجارة أخرى..

علبة تبغٍ واحدة لا تكفي لأرق تكات السّاعة..

* * *

٧

أناقة الضوء

- ١-

وقف البنفسج يطرّز تغاريده

أتراه

قميصكِ أم أناقة الضّوء..؟!

* * *

- ٢-

الليل غانية..

والصّباح يفصده وجهكِ بعبّاد الشّمس..

* * *

- ٣-

لا أطيق الاحتمال..

أساوركِ تُضرم بالإفصاح النّار..

* * *

- ٤-

شيء ما يشبه أبعاده..

أهو صمتكِ..؟!

* * *

- ٥-

سأسميّ كلّ مساءٍ بما يستحق

كي لا تنحدر الصّفات إلّا منكِ..

* * *

- ٦-

زهرة يا سمين فاتها الميعاد

فأتى

البياض إماماً يتلهف صداه فوق صدري..

* * *

- ٧-

لماذا

تسأل الدوائر عن أساوركِ..

قد يبدو الجواب بطيئاً..

لكنّ

السّؤال ما زال معلقاً بمدارات النّجوم..

* * *

- ٨-

كم زرعت في عيني من حنان

حتى

بتّ أحبّك كحبة عنب على شفا خابية..

* * *

- ٩-

وحدها أقدامنا

تجعل الزّحام يهزأ من منفاه بين رصيفين..

* * *

- ١٠-

لأنّكِ العنب..

يجافيني الفطام..

* * *

- ١١-

بنعاس عينيكِ

أفتق القمر من صدر موجة،

وما عليّ

إلّا أن أبحر في رتق المد..

* * *

- ١٢-

القميص الذي يضمّكِ..

القميص

البنفسجي

أنعتق من ألوانه ليحدّثني عن كلّ ما يدور حوله..

* * *

- ١٣-

الحسون المجاور لقفصنا

يقطف الأبواب

هي

تغريده قميصك على أوتار السّرير

تُرى أيّة تقاسيم تعزفها الوسادة

وأصابعنا

أدمنت أجنحة الحساسين..؟!!

* * *

- ١٤-

قميصكِ فراشة..

لا تقولي:

لا أصدق تناظر العناصر،

وإلّا

كيف للبنفسج أنّ يمشط شَعركِ الأسود بكل هذا الحنان..؟!

* * *

-١٥-

وحدها أصابعنا تجعل

واجهات المتاجر تسخر من أناقة الفراغات..!!

وحدها..؟!

وحدها أصابعنا المضمومة بالمضارع

جعلت.. الهندسات.. تعيد قراءتها لعلم الجمال..

* * *

- ١٦-

في زمنٍ ما

كنت أحبّكِ كوردة..

والآن

أعشقك كزهرة..

وما بين الرّعشتين

كنت ألّقح جسدي بأهداب البنفسج..

* * *

VI

وصية الشّتاء

- ١ -

حبّة المطر التي غسلت وجهي

كانت

وصيّة الشتاء للخريف..

السّحابة ذاتها

هي التي أخفتكِ في رحمها قروناً

تهطل الآن

بكل هذا الحنان..

* * *

- ٢-

وحدي..

والقهوة رائحة شعركِ بفنجان المطر..

* * *

- ٣-

كم تشبهكِ رائحة الأرض

يقول المطر..

ثمّ

تحتفي الطّيور بأعشاشها،

ويغار مني الرحيل..

* * *

- ٤-

ما زال الغيم يسافر بنا

كأننا

سرير ناي بين شفاه المطر..

* * *

- ٥-

بين شفتيك قطرة مطر

تنجو دائماً من لساني

ليعيدني الظمأ إلى ما وراء البحار ..

* * *

- ٦-

للمطر سرّان

أحدهما ينحاز لعينيكِ..

وآخر

ينتظر أهداب الصّباح..

ثم ؟؟!!

ثمّ تميد الأرض بين أصابعها..؟!!

* * *

-٧-

هذا المطر بشرى ابتسامتكِ..

ألهذا

لا تقبل.. الغيوم القسمة على اثنين!!..

* * *

VII

مراكب لأشرعة السؤال..

- الحرية :

أن تقبّل عروس البحر

على مرأى من أمواجه...

* * *

- الموج :

طاغية مُفعمٌ بالهزائم...

* * *

- الهزيمة :

سر الرحيل

دون

الانتماء إلى مركب ..

* * *

- المركبُ :

عناوين أحلامٍ

تبحث عن أشرعة..

* * *

- الشِّراعُ :

سؤالٌ يملأُ الغيمَ

برائحةِ الجسد..

* * *

- الجسدُ :

مجذافٌ نخونُ بهِ المطلق..

* * *

- المُطلقُ :

زَبدُ الهاربين من الأجوبة..

* * *

- الجوابُ :

مَدٌ يغازلُ الرّملَ

قبلَ

أنْ

يخلعَ معطَف القمر..

* * *

- القمرُ :

ذاكرةُ شاطئٍ يحبو

نحوَ الأنوثة..

* * *

- الأنوثةُ :

سمكةٌ لا لونَ لها،

تُغري

بالإبحارِ خارجَ حُدودِ البوصلة..

* * *

- البوصلةُ :

مَرساةٌ لقهرِ أحلامنا..

* * *

- الحلمُ :

أشرعةٌ تبحثُ فيها بعدَ«أرواد»..

* * *

- أروادُ :

نَجمةٌ تهزأُ

منْ

بحرٍ

تحاصرهُ جزيرة..

* * *

- الجُزرُ :

مساميرٌ لصلبِ البِحار..

* * *

- البحرُ :

تذكرةُ سفرٍ

لآخرِ امرأةٍ

لا تخيفها إرادةُ الرّيح..

* * *

- الرّيحُ :

ناموسٌ مُبعَدٌ

عنْ

دُوّارِ الحُلمة..

* * *

- الحُلمةُ :

كلُّ ما يبكيه الفِطام..

* * *

- الفِطامُ :

أجوبةٌ لا تَرضعها

أسماكُ

السلمون

قبل السّفر..

* * *

- السّفرُ :

أن تُربكَ البِحارَ

عندما

تتحدّث عن«تسونامي» حبيبتك..

* * *

- الحبيبةُ :

أمواجٌ تغارُ من اليابسة..

* * *

- اليباسُ :

قرصانٌ غُمِرت ساريَتُهُ

بأمجادِ السّلام..

* * *

- السّلامُ :

أن يَتناسى البحرُ

سمكةً

رقصتْ أمامَ صليبِها..

* * *

-الصّليبُ :

فلسفةٌ تمجِّدُ المَرساة..

* * *

-المَرساةُ :

طاغيةٌ تحجّرَ

في

قمرةِ القيادة..

* * *

- القيادةُ :

أن لا تتحدّثَ

عن سرِّ

جنوحِ الصّدفة..

* * *

- الصّدفةُ :

أنوثةٌ لا يُدركها القبطان..

* * *

- القُبطانُ :

منارةُ امرأةٍ خانتها الموانئ..

* * *

- الميناءُ :

رمالٌ تقدّسُ الإيمان.

* * *

- الإيمانُ :

سلامٌ يتجاهلُ مرجانَ الذّات..

* * *

- الذّاتُ :

ضلالُ الـ«كُنْ»

* * *

- الـ«كُنْ» :

تجلياتُ الضّدِّ

على

مرافئِ الـ«كُلّ» ..

* * *

- الـ«كُلُّ» :

أنْ تعرفَ في الضّدِّ

لحظةَ نجاة..

* * *

-النّجاةُ :

أرخيبلٌ من أسئلة..

* * *

- السّؤال :

شِعبُ مرجانٍ بقلبِ شاعر..

* * *

- الشّاعرُ :

رعشةُ البحرِ

حينَ يعاتبُه طِفل..

* * *

- الطّفولةَ :

غيمةٌ لا تشبِهُ النّساء..

* * *

- النّساءُ :

جَمعٌ لا يُكوّنُ امرأة..

* * *

- المرأةُ :

كلُّ ما تفتَقدُ إليهِ الشّواطئ..

* * *

- الشّاطئُ :

رُجولةٌ من فراغ..

* * *

- الفراغُ :

شِراعٌ لمْ يُمهر بخاتمِ عاصفة..

* * *

- العاصفةُ :

زفرةُ غريقٍ تناساها التّاريخ..

* * *

- التّاريخُ :

هويةُ بحرٍ يستبعدُ العشّاق..

* * *

- العاشِقُ :

مَنْ تَجاوزَ شواطئَ القُبلةُ.

* * *

- القُبلةُ :

خلجاتُ امرأةٍ

نشأتْ فيكَ

على

مرأى مِنْ كلِّ السّجونِ،

والّطلقات المتاحة أمام الحرية..!!

* * *

VIII

خيانات صغيرة

- ١ -

بالأمس حدث شروقٌ

لَمْ

يخنه الظّل..!!

* * *

- ٢ -

ثمّة نساءٌ بين الأزمنة

إحداهنّ

تجاوزت الدروب..!!

* * *

- ٣ -

هذا الليل..؟!

هذا الليل استحم بعينيها،

ولم يقترف الإيمان..!!

* * *

- ٤ -

بدأت الحكاية من الصمتِ..

بهدوء بدأت،

ولم تتكسر أغصان السّماء..!!

* * *

- ٥ -

كيف نجت الأحلامُ..

أَلَمْ

تكن أرواحنا تُصادم الأبواق..؟!!

* * *

- ٦ -

لا..؟!!

لا أحد رآها من قبل..

وحده الماء..

وحده اكتفى بالبكاء..؟!!

* * *

- ٧ -

ذاك البوح اكتفى بياسمينة

ومازالت

السّاحات تعجُّ بالمتسكعين..!!

* * *

- ٨ -

البحثُ عنها طوّقني..؟!!

هذا

السؤال بطعم القمح،

ولم تفارقني الجدران..!!

* * *

- ٩ -

المكان الأخير أتى من خطواتها

فلِمَ

لا ينتكس الحنين إلى التصفيق..؟!!

* * *

- ١٠ -

ذاك المساءُ..؟!

ذاك المساء كُنتُ على شفا دالية،

ولم

تُخدش أنوثة الياسمين..!!

* * *

- ١١ -

على أي كمانٍ يَعزف الوداع تعاويذه

ولا أحد..؟؟

ولا أحد يصافح الريح..!!

* * *

- ١٢ -

بالأمس التقيتها،

فلماذا

تطعنني رقة الانتظار..؟!!

* * *

- ١٣ -

عيناها..؟!

عيناها بحارٌ،

فلِم

لا تكون الأسماك كواكباً..؟!!

* * *

- ١٤ -

السنابل تنهل من أنوثتها

ومازال

الناس

يتقاسمون الطوابير على أبواب المخابز..!!

* * *

- ١٥ -

بعفويّةٍ اهتدينا إلى الحديقة..

بعفويّةٍ قالت:

لا تبتعد، فالرؤيا مغلقّة بالأسرّة..

ثمّ غادرنا..؟!

غادرنا، ومازالت الأرض تدور..!!

* * *

- ١٦ -

الشّمال الذي ضلّ

لم

يتكسر صمته..

ذات

شروق

اهتدى.. فغاب الجنوب..؟!!

* * *

IX

نُذر القصيدة

لقاء

هي أغلقت أزرار قميصها..

وأنا..

تابعت سيري..

- انتظرتْ..؟!!

- انتظرتُ..؟!!

ذات ليلٍ التقينا فوق الصفحات

وكانت

الأحرف نُذر قصيدة تؤنث المجاز..!!

* * *

أغـنية

شاعرة تعرّت أمام حروفها

رسمها

البوح

على شجرة«الكُن»،

صارت المفردات رحلةً لأغصان المعنى..

القصيدة..؟!

القصيدة حملت كلّ ما يلزم لغبار الطلع

وجابت

العالم

تغني للسّلام..

* * *

دائــرة

مثل دائرةٍ

نلتقي بذات النقطة المغايرة للبدء..

ومثل دائرةٍ

يختارنا الدّوار لمركزها الغابر

ودائماً

يمتلئ الفراغ - بينهما - بخطواتنا المشاغبة..

ودائماً..؟؟!!

دائماً تختارنا القصيدة

لنكون - من جديد - مركز الدائرة..

* * *

ولادة

في البدء..؟!

في البدء رنّ جرسٌ

فولدت قصيدةٌ من رحم قوس قزح..

تُرى

أيّة امرأةٍ ولدت

حين قُرعت أجراس البدء..؟!!

* * *

مـوعـد

رأيتها في الحديقة،

جدلت

ضفيرة

الصباح

وكتبت عليها: القصيدة مكتملةٌ طالما تنتظرني..

فأطلق

شرطيٌ

صفرةً كادت تقتلع المفردات..!!

وعندما

تمسكّت بالأشجار

مات

الطّين

وبقي الشّرطي يصفر في داخلي..

* * *

X

فراشات لطقوس الانتماء

لو..

ادّعت الوردة أنّها من عطركِ

لطُلب من البرق

تأدية طقسه بجناحي فراشة..

* * *

لو..

ادّعت البراءة أن ما تصبو إليه

أنتِ..

لرقصت الطفولة فوق حبال الصباح..

* * *

لو..

ادّعت الأنوثة أنّها من نسلكِ

لفرّحت

الصحراء زغباً لزهر الرّمان..

* * *

لو..

ادّعى الحبّ أنّه من ريقكِ

لصار

للفولاذ شفاه تطلق الياسمين على الأعداء..

* * *

لو..

ادّعت العصافير أنّها منكِ

لحلّقت

صغارها دون أجنحة..

* * *

لو..

أخذ الشّلال سرّه من شعركِ..

لأنساب

الزّبد زغرودة على ثغر حسون..

* * *

لو..

ادّعت الجبال الانتماء لصدركِ..

لكان

للنّسور أحلام نحلة على صنوبرة الخطيئة..

* * *

لو..

ادّعت المساحات أنّها من تعرق الحياء على خديكِ

لمارست

السماء فعل الصّفات دون مشنقة..

* * *

لو..؟!

لو

كان للغربة همس أصابعكِ

لانعتقت الأوطان من سجنها..

* * *

لو..

ادّعت الأشواق أنّها من سِفر غيابكِ

لخانت

الدّروب ريقها على مرأى من شاخصات المرور..

* * *

لو ..

ادّعت الأضلع أنّها قفص لقلبٍ واحد

قلبٌ..؟!

قلبٌ واحد -فقط - أخبئكِ به

لخرجت

الأصفار قوافل حبّ إلى يمين اللانهاية..

* * *

XI

نوافذ السّفر

نـافـذة

- ١ -

عمود جاورني على مقعد المسافرين

تَمّهل كثيراً

قبل أن يستظلّ بأحلام الحافلة..

* * *

نـافـذة

- ٢ -

الحقائب قطعةٌ من شَعركِ

يقول السّفر..

وزادي

ما آتاه السّحاب بصيغة المفرد..

* * *

نـافـذة

- ٣ -

غداً

تألّمَ الرّصيف بريشة شاعر..

اليوم..؟!

اليوم تدرك الحقائب سرّها

وأنا

أحصي ندم الجواب..

* * *

نـافـذة

- ٤ -

إذا سأل المساء عنكِ

سأحدّثه

بقليلٍ من الواقعية.. وكثير من الرّحيل

عن زهر الصّبار..

* * *

نـافـذة

- ٥ -

لماذا لا تسمّي الدّروب أحفادها باسمكِ:

يسأل الرّحيل..؟!

-كي

لا تثمل حقائب السّفر..

* * *

نـافـذة

- ٦ -

دائماً..؟

دائماً

تقلّني حافلة

كأنّها شهبٌ من بكاء،

وكأنيّ سماءٌ أضاعت إلهاً..

* * *

نـافـذة

- ٧ -

أسعدَ الصّباح صباحكِ

فأخذت

الدّروب

شكلها المستقيم..

* * *

نـافـذة

- ٨ -

لماذا

لا يكتب البحر لعينيكِ وثيقةً

تحرّر

أسماكه من شِبَاك السّفر..!!!

* * *

نـافـذة

- ٩ -

كلّ دروبي تخلو من شاخصات المرور

إلّا واحداً..!!

واحداً نُصِّفَ بأحمر خديكِ،

وشفتيّ

لا ترغب بمخالفة قانون السّير..

* * *

نافذة

- ١٠ -

الطريق..؟!!

لِمَ لا يرتعش الطريق لأشواق الحافلة!!

أهذا

لا تنظر النوافذ إلى وجوه الرّكاب..؟!!

* * *

نـافـذة

- ١١ -

للسّفر

سرٌّ لا يدرك..

لا يُدرَكُ إلّا بلهفة أصابعنا المتعانقة

وهي تودّع نهايات الفصول..!!

* * *

نافذة

- ١٢ -

بجوازات شَعركِ يفتح السّفر حدوده،

ولا شيء آخر

سوى

أنّي أقف على أبوابه كحافلةٍ لنقل السؤال..

* * *

نـافـذة

- ١٣ -

أنتِ طعم المجاز..

الألوان..

البدايات..

ولك روح الحقائب

عندما

تشدُّ الفراشات سروجي نحو أبواب السّفر..

* * *

نـافـذة

- ١٤ -

لماذا لا يملؤني اللاشعور بالماء..

قد

يتكلّف نهرٌ عناء السّفر إليكِ..

* * *

نـافـذة

- ١٥ -

- الطّريق

يشغله سؤال..؟!

- مفرق

يتأمل زواره كأوراق الخريف..؟!

- صنوبرة

تبحث عن ذاكرتها..؟!

- الغبار

يغازل وردة.. والنّدى تخلّف عن نوبة الحراسة..؟!

- الحافلة

صافرة إنذار دون ملاجئ..؟!

- وأنا..؟؟!!

أنا وحدي.. وحدي غارقٌ في ثياب الجواب..؟!

* * *

نـافـذة

-١٦-

حين ينضج السّفر:

الوقت فراشة..

الطريق شرنقة تطهو زوارها بالحرير..!!

* * *

نـافـذة

- ١٧ -

للشّمعة ريشة تحترق..

للنعام

ريش يخذله الضّوء..

ولي..؟!

لِمَ

لا ترتق الأجنحة حقائب انتظاركِ..؟!!

* * *

نافذة

- ١٨ -

الجرس يُقرع..؟!

ليس للقطارات حضنٌ كي تستريح..!!

* * *

نافذة

- ١٩ -

للسّفر عينان..

تقول القوارب:

المجاذيف أنتِ

والبحر يستكين لصلاة الموج في شَعركِ..

* * *

نـافـذة

- ٢٠ -

أنا من حمّل للسّفر غيمة..

هو شَعركِ..

ثمّ

مادت الأرض حقائبَ لملح البحر..

* * *

نافذة

- ٢١ -

كيف للطريق

أن يكون«أوتسترادًا»

ولم

يُعبّد بغيمة ..؟!

* * *

نافذة

- ٢٢ -

الأعشاب المتسكعة على جانبي الطريق..؟!

الأعشاب..؟!

الأعشاب المتسكعة على جانبي الطريق

ما هي

إلّا أعراساً تحتفي بخطو قدميكِ..

وإلّا

لماذا سرقت من البرق لونها وكل هذا الحنان..؟؟!!

* * *

نـافـذة

- ٢٣ -

أشتاقكِ..

أشتاقكِ كغيمة،

لكنّ الحافلة تقتات من عجلاتها

خطايا

من كان للدرب مثل شجرةٍ نسيها مطر أيلول..

* * *

نـافـذة

- ٢٤ -

.. الدّرب يسأل نفسه:

كم

كان سعيداً عندما ضاعت أقدامه بين أصابعنا..؟!

الدّرب..؟!

الدّرب –ذاته - احتمى

تحت

عناق أصابعنا كي لا ينتهي المساء من عدّ أصابعه..

* * *

نـافـذة

- ٢٥ -

ماذا يعني أن أسدل ستائر غرفتي:

يقول الاشتياق..

سوى

أنّي أنتظركِ على كلّ الدروب المسروقة من السّفر..

* * *

نـافـذة أخـيرة

ومرّةً أخرى

حيث أمضي.. أبدّل الحافلة

لأجرّد

الرّيح من عاداتها..

ومرّةً أخرى

حيث أمضي.. يخطو بي الطّريق

إلى

أول المشي..

ومرّةً أخرى..

حيث أمضي أبدّل خطوات الحافلة..

* * *

صدر للمؤلف

- رُقم لأبجدية القرن – دار الكتاب العربي -دمشق -١٩٨٩ شعر.
- زفير الأحرف الساكنة – دار الأهالي -دمشق -١٩٩١ شعر.
- جدلية النزوح عن الحاوية – دار الزمان - دمشق - ٢٠٠٦ نصوص قصصية.
- مقهى شارع البرلمان – دار بعل - دمشق -٢٠١٠ شعر.

فهرس

الصفحة

I – لأنّ ٥

II - هواجس كانون ٧

III - غربة بألوان المحيط ٥١

IV - خريف لأوراق الاحتمال ٥٩

V - أناقة الضوء ٨٣

VI - وصية الشّتاء ٩٣

VII - مراكب لأشرعة السؤال ٩٩

VIII - خيانات صغيرة ١١٥

IX - نذر القصيدة ١٢٥

- لقاء ١٢٧
- أغنية ١٢٨

الصفحة

●دائرة ١٢٩

● ولادة ١٣٠

● موعد ١٣١

X - فراشات لطقوس الانتهاء ١٣٣

XI - نوافذ السّفر ١٤١

الطبعة الأولى / ٢٠١٦م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة